القيادة، لم يضمنها اشارة واضحة الى حجم القوة المهاجمة. ربما خشي ان يتهم بالمبالغة فآثر الحديث عن هجوم معاد بالاسلحة الخفيفة والمتوسطة والثقيلة، وعن انزال بواسطة الحوامات، لكنه لم يذكر حجم الهجوم. كذلك جميع البرقيات الاخرى التي وردت من المواقع، وحتى من قيادة القوات المشتركة في الجنوب، لم توضح حجم القوات الاسرائيلية المهاجمة. ربما كان انهماك المقاتلين في رد الهجوم، وحماسهم الجارف في التصدي والمواجهة السبب الذي شغلهم عن القيام بتقدير شامل للموقف، ولكثافة القوى المهاجمة. ولان العدو اختار هجومه ليلا، ولان المقاتلين في القوات المشتركة يملكون امكانات محددة فإن الاحاطة الدقيقة بحجم القوات المهاجمة يكون جزافا.

* * *

فجأة، وفيما المعارك تدور رحاها عنيفا ملتهبا، اهتزت اجهزة الاسلكي في كل المواقع لتبث الى المقاتلين في القوات المشتركة، وفي كل المواقع رسالة تحية وتقدير من القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية، وقد اشادت الرسالة ببطولة المقاتلين وبسالتهم، وقدرتهم الخارقة على التصدي للقوات الاسرائيلية المهاجمة. كانت الساعة تقترب من الثانية والنصف فجرا، وكان القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية قد وصل لتوه الى دمشق،قادما من المغرب؛ حيث حضر اجتماعات لجنة القدس. وكان قد قلّب، في لحظات، البرقيات الواردة الى القيادة. ارسل الاخ ابو عمار بصره الى البعيد مخترقا جدار غرفة المكتب المغلقة، وقال بلهجة لا تخلو من عنفوان: «انه هجوم واسع وضخم، وان التصدي له واحباطه لهو معجزه يصنعها مقاتلونا في قلعة الشقيف، وارنون وكفر تبنيت وحرش الطاهر. ان هؤلاء الابطال يلقنون ايتان درسا لن ينساه ابدا...» والتقط قبعته من فوق الطاولة وقال: وهو يحادث احد القادة: «هيا ياشباب» مشيرا الى مرافقيه.

في ساعات الصباح الاولى، لم يكن العدو قد اخلى خسائره بعد، ولم يتمكن من سحب كامل قواته. وكي يتمكن من ذلك شدد من قصفه المدفعي الثقيل بشكل مجنون وصل حتى النبطية، ومحيط دائرة اتسع نطاقه كثيرا من حول منطقة المعارك. وفي الوقت نفسه، ارسل طيرانه الحربي يدك قلعة شقيف ارنون بالصواريخ والقذائف الثقيلة. لقد قاوم الرجال داخل القلعة ببسالة، ومن مدافعهم المتوسطة استطاعوا ان يصدّوا هجوم العدو، كما استطاعوا ان يوقفوا تقدمه، لقد اربكوا العدو حقا كما احبطوا مفاجأته التي كان يسعى الى تحقيقها. وسقط في قلعة الشقيف، عدد من الشهداء. لقد قام طيران العدو، الاميركي الصنع، من طراز ف١٦، بما لم تستطعه الجحافل الاسرائيلية خلال الليل. وفي لحظات، استطاعت هذه الطائرات ايقاع افدح خسائر تم تكبدها في الارواح، خلال المعركة كلها.

وفي اسفل القلعة ايضا، في بلدة ارنون، وحرش الطاهر وكفر تبنيت، قاتل الرجال كما لم يقاتلوا في حياتهم. واجهوا العدو بالرشاشات الخفيفة، من خندق الى خندق، واحيانا بالسلاح الابيض. ان التقارير التي كتبها الضباط الذين اشرفوا على حصر نتائج